الفلسفة الظاهراتية

موريس ميرلوبونتي

ولد موريس ميرلوبونتي عام ١٩٠٨ في روشفور وتلقى تعليمه إحدى المدارس تعليمه في إحدى المدارس الثانوية بباريس حيث أظهر نبوغاً مبكراً، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا، حيث نبغ في الفلسفة على كل أقرانه. وعين معيداً بالمعهد الفرنسي الكبير ثم مدرساً في مدارس ثانوية مختلفة ببعض مقاطعات فرنسا. ثم انتقل بعد ذلك إلى ليسيه كوندروسيه عام ١٩٤٤، حيث أصبح أستاذاً للفلسفة بالسنة النهائية. ومن الصعب تحديد إلى أي المذاهب الفلسفية ينتمي ميرلوبونتي؛ إلا أن معظم النقاد يميلون إلى عدّه فينومينولوجياً بالدرجة الأولى على الرغم من أنه قد خالف هوسرل في بعض الآراء الأساسية. عمل ميرلوبونتي أستاذاً في جامعة ليون والسوربون والكوليج دو فرانس، أصدر عام ١٩٤٥ مع جان بول سارتر مجلة الأزمنة الحديثة وفي عام ١٩٥٣ انفصل عن سارتر بسبب خلاف في بعض المسائل، ذات الطابع السياسي، وخصوصاً فيما يتعلق بالموقف من الماركسية، وذلك لأنه دافع عن فكرة الالتزام الإنساني في العالم وفي التاريخ. أهم مؤلفاته: بنية السلوك، فينومينولوجيا الإدراك، مغامرات الجدل، المرئي واللامرئي، نثر العالم، العين والعقل. وله العديد من المؤلفات منها:

- **مغامرات الديالكتيك.**
- **علامات.**
- **المرئي واللامرئي.**
- **فينومينولوجية الإدراك الحسي.**
- **الفلسفة الفرنسية المعاصرة.**

الادراك الجسداني

يقدم ميرلوبونتي بديلاً معرفياً للوعي المحض، بديلاً يقوم على الإدراك الحسي، إذ يرى أن عالم الإدراك هو الذي يشكل الواقع المباشر، وان ذلك الواقع لا يتصف بصفات عقلية، وإنما بخصائص جسدية، فالجسد هو الذي يتواجد في العالم، وهو العنصر الأساس والمباشر لكل معرفة وفي موقف معين، وهو الأداة للوصول لحقيقة أي شيء موجود في العالم. إذن ومن منظور ميرلوبونتي فان الإدراك الجسدي هو الوسيط بين الوعي الذاتي والعالم وانه "لا يوجد فاصل بين الإدراك الواعي، وموضوعات الإدراك" ، ونظراً للرابط العضوية بين الوعي والعالم .

إن البعد الجسدي الذي وضعه ميرلوبونتي كشرط للمعرفة قد نقلت المعرفة من كونها علاقة بين ذات وموضوع إلى "علاقة انطولوجية"، إذ أصبحت الذات تعرف بدلالة الجسد، والعالم عبارة عن موقف تلك الذات منه وهذا يعني على وفق هذا المنظور: "ان تكون جسداً ، هو ان تكون في عالم معين" ، وفي موقف معين.

المنظور الظاهراتي للعالم

يشكل العالم موضوعاً هاماً في الفلسفة الظاهراتية، فهو المجال الحيوي للتجربة المعاشة، وهذا ما نجده عند جميع فلاسفة الظاهراتية. يرى ميرلوبونتي أن العالم "موجود قبل أي تحليل منطقي له، فهو ليس موجوداً من الموجودات، إنما هو الإطار الطبيعي لكل أفكاري وادراكاتي الظاهرة"، التي تنتج عنه .

لذلك فانه ينتقد مفهوم العالم عند الواقعيين والمثاليين ، فالعالم الذي نعيش ليس واقعاً بسيط ، كما هو عند الواقعيين، كذلك هو ليس نظاماً من الأفكار كما هو الحال عند المثاليين ، إنما هو موقع للإقامة، وأن ما ينبغي علينا أن نقوم به هو أن تتموقع فيه من الداخل، لأجل إدراك الموجود الذي نتعامل معه ، وليس ألقاء النظرة من الخارج، كما عملت اتجاهات الفلسفة التقليدية على ذلك، وأهملت الجانب المعاش من العالم.

ان العالم المعاش كما يفهمه ميرلوبونتي يتألف من كل التجارب الإنسانية، من إدراك وتفسير واستجابة ، التي يمارسها الإنسان بوصفه مقيماً ومنشغلاً في نشاطات ذلك العالم . وبالرغم من أن ذلك العالم "يتوفر على خصائص مكانية ، إلا أن تلك الخصائص تختلف اختلافاً شديداً عن المكان الهندسي والطبيعي، إذ إن المكان المعاش يمتلك إبعادا وجودية تكمن في الفاعلية القصديه للإنسان الذي يتواجد فيه وعبر التجربة المعاشة ، لا كما تتواجد الجمادات في المكان الطبيعي .

إن الإنسان ، حسب ميرلوبونتي، يتجه دائماً إلى وقائع التجربة المعاشة "لا ليسجلها، إنما ليفهمها" وذلك لان العالم المعاش هو أفق للفهم ، أفق لفهم معاني الأشياء ودلالاتها في تجربة معينة ، وهذه هي وظيفة الفلسفة أيضا. إذ أنها لا تهمل أساس المعرفة ، ويقصد بذلك العالم المعاش الذي هو أساس كل معرفة تهدف الوصول إلى الحقيقة ، حقيقة معينة ، وليس الحقيقة المطلقة.

إن العالم المعاش وفقاً لظاهراتية ميرلوبونتي يفترض دائماً وابتداءً وجودنا وعقلانيتنا ، فضلاً عن قيمناً، وان الاعتقاد بفعالية العالم المعاش وأهميته سوف "لا تقوض قيمنا ، بقدر ما ستجعلها محايثه في ذلك العالم"، تلك القيم سواء كانت خلقية ، أم جمالية ، أم منطقية ، وذلك بعد أن كانت مفارقة له ، ومجردة عنه في خطابات الفلسفة التقليدية.

المصادر

إبراهيم زكريا: دراسات في الفلسفة المعاصرة .